
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

علال الفاسي



إسهام المرأة المغربية في الكفاح الوطني

«محاضرة بنادي المحامين المصريين تحت إشراف الحزب النسائي المصري»

سيداتي وسادتي:

يسعدني أن أقف اليوم محاضرا في هذه الدار الكريمة استجابة لطلب الحزب النسائي المصري للتعريف بحالة المرأة المراكشية ومجهوداتها في سبيل تحقيق أماني المرأة العربية في تحقيق حياة اجتماعية حرة سعيدة. وإنني لفخور بأن تكون هذه هي الحلقة الاولى في سلسلة المحاضرات التي قرر هذا الحزب الاجتماعي المصري تنظيمها لتنسيق جهود المرأة العربية واختيار التوجيه الصالح الذي يجب أن تهتدي بهداه وتسير في أضوائه وضُواه.

والحق أن المرأة العربية عموما والمغربية خصوصا نكبت في عصورها الاخيرة بما نكب به سائر المسلمين والشرقيين من عدول عن روح الحضارة التي بثها الاسلام وجاء بها النبي العربي، وإنه لمن نكد الدهر ألا ننتبه مرة أخرى للعناية بأسرنا وسيداتنا إلا بعد أن هاجمنا الاستعمار الغربي بنكباته، مع أن المرأة العربية كونت ثورتها الكبيرة الاولى من نوعها في التاريخ يوم جاء الاسلام ناطقا على لسان رسوله الكريم بأن النساء شقائق الرجال في الاحكام.

نعم سيداتي وسادتي لقد دوى هذا الصوت العربي يوم كان المفكرون في الامبراطورية الرومانية يعقدون المؤتمرات للبحث هل إن المرأة حيوان إنساني أو حيوان

محض، ويوم كان المتدينون أنفسهم يعتبرون المرأة لا قيمة لها إزاء الرجل، وإنما هي خليقة غريبة وجدت للمتعة أو للإغراء وإلهاب الغرائز الفاسدة، وليس لها حق تطالب به أو حرمة تذكر إلا بقدر ما تكون خانعة خاضعة مستسلمة. فجاءت دعوة الاسلام بل ثورة المرأة العربية على لسان أصدق إنسان هدما لذلك الطغيان ووضعا للحق في نصابه، ولم تمض برهة قليلة حتى أخذت المرأة العربية مركزها إذ عرفت كيف تستفيد من تسامح الشريعة ومبادئها الحرة، وأصبح لها المقام الملحوظ النافع في الحياة الثقافية والاجتماعية بجانب الرجل، وضمن الطائفة الاسلامية، فعائشة التي كانت في مقدمة اللواتي تربين على أسس الاصلاح الجديد حققت المثل العظيم للمرأة العربية، فأصبح عمق ثقافتها وتفكيرها، وهي لم تصل بعد العشرين عاما، من أعظم صور ذلك العهد وكل عهد، فكان كبار الصحابة يستشيرونها في أصعب المسائل الفقهية والتاريخية والأدبية وحتى الطبية أحيانا، وهكذا أتسع ميدان النشاط النسائي وأخذ ينمو يوما فيوما حتى أصبحت أم الدرداء تلقي بالمسجد الاقصى دروسا عمومية كان في جملة الذين يحضرونها الامير الاموي سليمان. وقد عرف أن الإمام الشافعي كان من التلامذة المخلصين للسيدة نفيسة صاحبة المحاضرات العظيمة في القاهرة. وقد خصص ابن حجر العسقلاني سفرا كاملا من تراجمه لعالمات عصره، كما سجل السخاوي عقدا نضيدا من السيدات اللائي كن يتبعن الدراسة مع الذهبي وابن الأثير.

وتكونت في الحجاز بفضل هذه الروح الثقافية صالونات أدبية تترأسها سيدات أنيقات أمثال السيدة سكينة حفيدة الرسول، وعائشة بنت طلحة، وغيرهما ممن يملأن المجالس بلطفهن وثقافتهن، وينشرن إلى جانب الرقة الاجتماعية الذوق الادبي والتفوق الفني، وقد انتشرت هذه الصالونات في كل العواصم العربية من بغداد إلى غرناطة، وتحدث الرحالون العرب أمثال أبن جبير عن قيمة هذه المشاطرة النسائية في الحياة الادبية والاجتماعية.

وظهرت هذه الثورة الفكرية التي نشرها العهد الاسلامي في الشرق العربي في الاندلس والمغرب أيضا بمجرد ما وصلت الدعوة الإسلامية وانتظم الفتح العربي في بلادنا، وهل أنا بحاجة لأن أتحدث عن الدور الذي لعبته المرأة المسلمة في مراكش وغيرها من بلاد المغرب وفي الاندلس أيضا؟ ويكفي أن أقول إن مؤسسة جامعة القرويين السيدة (فاطمة الفهرية) كانت آنسة عربية قدمت إلينا من القيروان فيمن قدموا من العرب الاولين، وإن السيدة (كنزة) حرم أول ملك عربي في مراكش المولى إدريس أظهرت من التفوق في السياسة وحسن الإعداد لولدها إدريس الثاني ما جعله جديرا بتثبيت دعائم الدولة العربية بالمغرب. وقد خصص العلامة المقرى في نفح

الـطيب فصـلا طويلا للنساء الشواعر اللائي تفوقن في الفصاحة والإتقان، وسجل المراكشي أن حيا واحدا من قرطبة كان يشتمل على **مائة وسبعين امرة يشتغلن بنسخ الكتب** في وقت لم تكن فيه المطبعة.

وشهد (بريسكوت) بالروح التحررية التي سادت في ذلك العصر في الاندلس والمغـرب والتي ساعدت على إنشاء وسط مثقف شاعر بالمسئوليات، وعلى الرغم من الروح السلفية التي طبعت دولة المرابطين في المغرب فإن الاتصال الاجتماعي بين المرأة والرجل كان مسموحا به، والتعاون الثقافي بين شطري الامة كان عظيما. **ولم تكن المرأة المغربية في ذلك العهد تعرف النقاب**، وذلك بفضل الدور العظيم الذي لعبته زينب حرم الملك ابن تاشفين في توجيه الدولة المرابطية. وكان تعليم المرأة منتشرا وعاديا في سائر العائلات، والاميرات أنفسهن موضع القدوة من الشعب، ومن أبرز المربيات في ذلك العصر السيدة حفصة الركينية التي كانت تلقن دروسا عالية لنساء قصر المنصور، وقـد عدها ابن بشكوال من أبرز الاساتذة في وقته، وكان في أسرة ابن زهر الطبيب الفيلسوف المشهور **طبيبتان لهما عيادة رسمية** في مدينة مراكش.

ولكن تعليم المرأة تطور من بعد في جو ضيق حيث أصبح يعطى في الغالب، خصوصا في الادوار الثانوية،داخل الاسر، فلم تبق إلا بعض المدارس القرآنية التي كان يعلم فيهـا فقيهـات مبادىء الدين والكتابة والقراءة، ولكن ذلك لم يمنع من نبوغ سيدات تفـوقن بفضل جهودهن الخاصة أو جهود أسرهن على أقرانهن. وقد تحدث (اليوسى) في القرن الحادي عشر الهجري عن العبدوسية التي عدها من أكبر العالمات في شؤون القضاء في عصره، وتحدث الحضيكي في القرن الثاني عشر الهجري عن نوع من الصـالـونـات أو الاجتـماعات الثقافية التي كانت المرأة تعقدها دون حضور من الـرجـال. وقـد ضعف الدور الاجتماعي الذي كانت المرأة تلعبه في الوسط الثقافي المراكشي شيئا فشيئا فانكمشت على نفسها وأصبحت الامية من أبرز صفاتها، كما لم تعد تشاطر الرجال أمر الاهتمام بالتطورات التشريعية فسقطت سريعا في جو الخرافات والسحر وغير ذلك من الامور التي جعلتها تعيش في ميدان أبعد ما يكون من الميدان الذي يعيش فيه الناس.

وسرعان ما أثرت بحياتها البيتية في أفكار الرجال فسقطوا هم الآخرون في جو الخرافات، وعاد الكل مسدود الفكر بعيدا عن الحياة.

بداية الانبعاث:

ولكن هجوم الغرب على البلاد الاسلامية وأخذ دولة الخلافة العثمانية ببعض أسباب التطور الحديث وقيام الثورة الوهابية في المشرق واصطدام الدولة المراكشية مع

الفرنسيين في حدود الجزائر نبه الجميع وأيقظ الكل فأصبحوا يبحثون عن وسائل الدفاع الذاتي، وأيقنوا أن لا سبيل للخلاص من الاستعباد الخارجي الذي يهددهم إلا بالتحرر من الاستعباد الداخلي وكان أول شيء فكر فيه الجميع بالطبع هو الرجوع للإسلام الصحيح، والعدول عن كل ما ألصقته الأجيال به من خرافات وأوهام تعتبر في مقدمة ما أخر المسلمين وأوقعهم في الهوة السحيقة التي هم فيها. وسرعان ما بدأوا ينظرون في الاسلام وفي عهده الاول حتى انفتحت لهم آفاق التفكير في الادواء الحالة بهم وضرورة علاجها، وكان في جملة هذه الادواء إهمال المرأة التي شاركت هي الاخرى في العناية بنفسها وبدأت تنفض الغبار عنها.

وكان أول مظهر للعناية الجدية بالمرأة المغربية هو إصلاح سنة 1907 حيث وضع السلطان مولاى عبد الحفيظ مشروع تنظيم عصرى لحياة المرأة مستمدا من الاساليب التي طبقتها الخلافة العثمانية في تركيا التي كان من أكبر المعجبين بنهضتها، وقد نشرت خلاصة المشروع في الصحف العربية التي كانت تصدر في طنجة وفي تونس، ولكن الهجوم الاوروبي الذي أحدث في بلادنا من الاضطرابات ما مهد السبيل للفتح الاجنبي حال بين المرأة المغربية وبين التمتع بهذا الاصلاح العميق الذي لو طبق في ذلك الوقت لقلب سير التاريخ وأحدث ثورة عظيمة المفعول في البلاد المغربية.

لقد هجم الاجنبي علينا وفرض حمايته على أراضينا فثارت الامة المغربية في كل المناطق وخصوصا في الجهات الجبلية، ودخلت أغلبية الشعب المغربي في عزلة النسر الذي لا يعرف غير الكفاح والدفاع عن الوطن، وأصبحت المرأة التي كانت تريد بداية نهضتها عن طريق الثقافة والتعليم تبدأها عن طريق المقاومة ومشاطرة أخيها الرجل في الدموع والدماء فداء للوطن وتحريرا للشعب.

نعم أيها الإخوان وأيتها الاخوات؛ لقد نهضت المرأة المغربية في عهد المقاومة نهوضا مشرفا بأعباء ثقيلة شاركت بها الرجل في أداء المهمة الملقاة على عاتقه، ولم تكن بنت المدينة أقل نهوضا من بنت الجبل، فبمجرد ما هجم الجيش الفرنسي على (وجدة) و(الدار البيضاء) ولقى من قتال المواطنين أشد ما يلقاه جيش قوى من شعب ضعيف العدة قوى الايمان كانت المرأة الدكالية والمرأة اليزناسنية تسير من خلف الجيوش تساعد المقاتلين بكل أنواع المساعدات الممكنة، وحينما اشتبكت المعارك مع الجيش الفرنسي على أبواب فاس ثارت المرأة من أعماق بيوت هذه المدينة المقدسة وحملت السلاح وأودت بالبعثة العسكرية الفرنسية وكبار ضباطها، والتحقت المرأة الفاسية تدفع المقاتلين للاستبسال بأغانيها وزغردتها، تلك الزغردة التي قال عنها القبطان (أودينو) إنها كانت

أقوى أناشيد المعركة، والتي أعلن الفرنسيون بعد احتلال فاس منعها أعواما حتى في الافراح العادية لأنها تذكرهم بثورة المرأة على الاحتلال الاجنبي.

أما في الجبل فقد ظلت المرأة تعاون الرجل في قتاله، فكان جيش السيدات يتبع جيش الرجال ليضمن لهم مؤونة السلاح حيث تقف المرأة بجانب المقاتل أو من خلفه تملأ له البندقية في الوقت الذي يستعمل فيه بندقية أخرى، وتسلمها له كلما أفرغ الاولى، كما تحرك همته وتدفعه على الاستبسال. وكن يحملن معهن أقداح الحناء حتى إذا رأين أحد المقاتلين يتقهقر رششن عقبه بالحناء ليعرف بعد نهاية المعركة؛ فإذا ما اشتد الحال لم يكتفين بدور المساعد بل قدمن أنفسهن مددا عظيما وتلقين مدافع الاعداء في شهامة وعزم، ويكفي أن يستمع الانسان للحكايات والاساطير التي يقصها الفلاحون المغاربة من عرب وبربر ليعرف مقدار الشجاعة التي تظهر بها المرأة المراكشية كلما حزب الامر أو اشتد الحال. وقد اشتهرت في معارك الاطلس المتوسط الآنسة (يطو) بنت القائد الكبير (حمو وموحا الزياني) هذا الرجل الذي كافح الفرنسيين أحد عشر عاما ثم لما رأى انتصار العدو حتما قرر ألا يعيش في جو الاحتلال، فتقدم في آخر معركة تقوم بها قبائل زيان وعرض نفسه لقنابل الأعداء، بينما كان أولاده قد تقهقروا تبعا لأوامره هو إلا بنته الآنسة (يطو) التي صممت على الاستمرار في المقاتلة مع أبيها حتى استشهدت إلى جانبه مثبتة أن المرأة المغربية ليست أقل جدارة من أخيها في الاستبسال في سبيل الحرية وحياة العزة والكرامة.

وفي الحرب الريفية الشهيرة لعبت (فايدة حسن) دورا خطيرا في التجسس على الاسبان حيث كانت تلبس الملابس الاسبانية وتتسرب للمعسكرات الاسبانية لا في المغرب المحتل فقط بل حتى في إسبانيا نفسها، وتختلط مع كبار الضباط والسياسيين فتتعرف على خططهم وما يدبرونه للبلاد، وتنقل ذلك كله للمجاهدين في الريف. ولقد رأيت هذه السيدة في باريس حيث ابتدأ بعد الهزيمة في صالونها كبار الشخصيات في الادب والفن، وكلهم معجبون بألواحها الفنية التي كانت مورد عيشها الوحيد في أيامها الاخيرة.

على أن المرأة في الجبل لم تقف في نهضتها عند الكفاح العسكري، وإنما واظبت على مشاطرة الرجل في كل النشاط القبلي، فكانت النساء تحضر الاجتماعات التي تعقدها القبيلة، وكن أيامي الحرب بصفة خاصة بحضرن للدفاع عن مصالحهن ومصالح أولادهن الذين استشهد آباؤهم فكن يذكرن دائما أن فقدان الخيمة لرئيسها لا يعني ضياع حقها في اهتمام الجماعة بأولاده.

مقاومة السياسة البربرية:

وقد أدى هذا الدور بالطبع إلى الاصطدام مع السلطات الفرنسية لأول عهد البلاد بالحماية؛ لأن الفرنسيين فكروا بعد مرور سنتين فقط على توقيع معاهدة 30 مارس 1912 في ضرورة تكوين سياسة أصبحت تعرف من بعد بالسياسة البربرية، غرضها إحداث فرقة مصطنعة بين العرب والبربر تقوم على أساس تفرقة تشريعية، وذلك بالاحتفاظ للقبائل العربية وحدها بالمحاكم الشرعية والمدنية المغربية، وقلب نظام الجماعات الاستشارية في قبائل البربر إلى شبه محاكم تقوم بدور القضاء العرفي، مع إقفال المحاكم الشرعية وإبعاد اللغة العربية عنها.

وقبل أن تظهر هذه السياسة للناس وقبل أن تعطى صبغتها الرسمية في شكل مراسيم يفرض تطبيقها بدأت السلطات الفرنسية تقوم بحفريات للبحث عما تسميه هي بالاعراف القديمة للقبائل البربرية، وهكذا جمعت أو اختلقت اعرافا جاهلية يتنافى معظمها مع الحقوق التي اكتسبتها المرأة بمقتضى الشريعة الاسلامية؛ فأصبح التطور أو الاصلاح الذي تزعمه السلطات الفرنسية عبارة عن رجوع بالاسرة المغربية إلى ما كانت عليه قبل الاسلام في عهد الجاهلية العربية والبربرية على السواء. لقد أرادت السلطات الفرنسية أن تنتقم من المرأة في الجبل بإعادتها إلى عهد الاستعباد والقيود، ففرضت عليها الخضوع لحكم العرف؛ أي أن تصبح متاعا يباع ويشترى ويهب ويورث ولا يرث، وينتزع منها كل الشخصية المدنية التي تقدمت بها المرأة المسلمة على غيرها من نساء العالم حتى في القرن العشرين، فشعرت المرأة المغربية بهذه الدسائس التي تكاد لها، وبمجرد ما حاولت المراقبة الفرنسية في أوائل سنة 1913 حرمان إحدى السيدات من ميراثها في قضية خاصة بقبيلة (أزمور) تطبيقا لبعض مواد العرف المخترع اجتمع نساء القبيلة في مدينة (الخميسات) في مؤتمر عام وقررن الاحتجاج الكلي على هذا التصرف الفرنسي، وخرجن في مظاهرات صاخبة اضطرت السلطة معها إلى استخدام الجيش وإلى أن يصرح المارشال (ليوطي) بأن التدابير التي اتبعت لم تكن إلا سياسة مؤقتة اقتضتها ظروف المقاومة المحلية. وقد كانت هذه أولى المظاهرات التي قام بها الشعب المغربي ضدا على السياسة البربرية قبل أن تأخذ صبغتها الرسمية في 16 مايو 1930. وقد ظلت المرأة في الجبل مخلصة في عدائها لهذه الاعراف حتى تبلورت أفكار الامة كلها إلى جانبها، وتكونت الحركة الوطنية المراكشية، وشعارها الاول مقاومة السياسة البربرية ومظاهرها.

أما في المدن فقد سايرت المرأة ركب النهوض العام الذي بدأ في البلاد، وعلى الرغم من كون الحماية عملت كل مجهوداتها لعرقلة تطور المرأة المراكشية فقد أثبتت هذه

حيويتها واستعدادها لتلبية كل دعوة صالحة تسعى لتحسين أحوالها، وترقية شؤونها، وكان أول مظهر جماعي ظهرت به سيداتنا في مختلف مدن المغرب هو استجابتهن لدعوة الاصلاح الشامل لعادات الاعراس والمآتم التي كانت تستغرق وقتا طويلا من الاسرة، وتستنزف مالا كثيرا من جيوب القيمين عليها، ثم إقبالهن على تثقيف بناتهن والعناية بهن. على الرغم من التلكؤ الذي عرى الامة في هذا الصدد لأول عهد الحماية احتجاجا على سياسة الفرنسيين التعليمية المبنية على فرنسة التعليم في اللغة والتاريخ والجغرافية فقد توصلنا في أوائل عهد حركتنا الوطنية إلى تأسيس عدة مدارس مشتركة أقبل عليها البنات إقبال البنين، وأخرجت جيلا من السيدات أصبح لهن دور ملموس في تقدم المرأة الثقافي.

وقد قوى هذا الجيل وعمم ثماره في المدينة والقرية العناية التي أظهرها سلطان المغرب بالدعوة لتعليم المرأة وتحريرها، والقدوة الصالحة التي أعطاها في تعليم بناته حتى تقدمت الاميرة عائشة تحمل علم الدعوة لنهضة المرأة فاستجاب الكل لدعائها ونـدائهـا، وامتـلأت المـدارس على اختلاف أنواعها بآلاف البنات اللائي أصبحن يتنافسن في الدراسة والحصول على مختلف الشهادات. وسيظل عصر جلالته مطبوعا في التـاريخ بهذه الروح التقدمية التي كان الداعي الامين لها والحريص القوي على تحقيقها، على الرغم مما يبذله الفرنسيون من جهود جبارة لمقاومتها لا عن طريق القوة والمعارضة الدائمة فحسب، ولكن حتى عن طريق التجنيد المحكم لمختلف ضروب الرجعية الاصطناعية التي يخلقونها من بين الأذناب خونة الوطن والمتجرين بالدين.

الفرع النسائي لحزب الاستقلال:

ولعلي أكون مقصرا إذا لم أتحدث عن التوجيه الصالح الذي سارت فيه حركتنا منذ يومها الاول، فإن الصبغة الاجتماعية التي لهذه الحركة سهلت علينا القيام بجلائل الاعمال في الوسط النسائي المغربي. فمنذ أسس الحزب الوطني الاول الذي يحمل اليوم اسم (حزب الاستقلال) وهو يعمل في سبيل التحرر والتقدمية سواء في بيئات الرجال أو في بيئات النساء، وقد أسس عدة مدارس حرة تضم اليوم أكثر من 25 ألف تلميذة، وأظهرت البنات المغربيات ذكاءا واجتهادا منقطع النظير، فأصبح منهن كل عام مئات من اللائي يتقدمن للمدارس الثانوية أو العليا.

وكثمرة لهذا المجهود تأسست نخبة من الفتيات للقيام بحركة نسائية داخل حزب الاستقلال فقامت على رغم عدم اعتراف الحكومة بوجودها، ومع التضييقات الادارية التي تحيط بها ـ بأجل الخدمات في سبيل النهضة النسوية، وتقوم هذه الحركة زيادة على

أعمالها السياسية كفرع نسائي لحزبنا بأعمال مفيدة لمساعدة المرأة على التطور، وذلك بمحاربة الامية وإسعاف الفقيرات واليتيمات ومعاونتهن على متابعة دروسهن وتخصيص منح لهن لكسوتهن وإطعامهن.

وقد بلغ مجموع الواجبات الشهرية التي أنفقتها شعبة الحركة النسائية بفاس سنة 1952 على نساء الحزب 550 ألف فرنك.

ووزعت هذه الهيئة بنفسها على تلميذات المدارس 3000 كسوة

مجموع قيمتها	2 000 000 فرنك
ووزعت شعبة الرباط	1000 كسوة

كما أنفقت على 60 إمرأة في فصلين أنشئا لمحاربة الامية.

وأنفقت شعبة (الجديدة)	300 000 فرنك
منها لكساء المعوزات من التلميذات	100 000 فرنك
وإعانة لمدرسة حرة في تلك المدينة	200 000 فرنك
كما أنفقت	4 000 000 فرنك

لشراء الادوات المدرسية وتأثيث القسم الداخلي

وأسست مطعما للبنات يتناول الغذاء فيه 200 بنت فقيرة.

وليست هذه إلا نماذج للجهود التي تبذلها الشعب النسائية لحركتنا لا نريد أن ندلي بأكثر منها لضيق الوقت.

على أن هناك جهودا أخرى بذلتها سيداتنا كمطالبتهن بإحداث تعليم ثانوي منظم حتى تأسست بفضلهن بفاس والدار البيضاء والرباط مدارس ثانوية تعد المتعلمات لشهادة البكالوريا الفرنسية. كما تأسست عدة أقسام تكميلية في المدارس الحرة لنفس الغاية. وذلك بعد أن كن لا يجدن وسيلة لتوسيع معارفهن إلا في المدارس العامة للفرنسيين (الليسيهات).

وقد طالبن أيضا بتأسيس قسم خاص للمرأة بجامعة القرويين الدينية، وبعد أن حصلن على موافقة جلالة السلطان فتح هذا القسم بالاتفاق مع إدارة القرويين، وظل حزب الاستقلال ينفق عليه وعلى أساتذته طيلة ثلاثة أعوام قبل أن تصادق على وجوده الادارة الفرنسية وتسهم له في ميزانية الدولة المراكشية. ويضم هذا القسم زهاء المائة طالبة يعددن أنفسهن ليكن عالمات دينيات. وهذه أول مرة في تاريخ الجامعة القروية يعد قسم نسائي لأداء هذه المهمة التي لا يفرق الاسلام فيها بين رجل وإمرأة على عكس الديانات الأخرى التى لا تجيز للمرأة أن تكون من الرهبان أو الاحبار.

وتتوفر عدة طالبات على التعليم الجامعي في فرنسا، وقد تخرج منهن عدد في الحقوق والطب والآداب، ومنهن معلمات في المدارس الثانوية، كما أن عديدا منهن يعلّمن في المدارس الحرة أو يشتغلن بالاعمال الاجتماعية كالمستشفيات ودور التوليد.

ويسهم قسط من سيداتنا وفتياتنا في تحرير الصحف الوطنية وخاصة تحرير الصفحات النسائية والاجتماعية منها، ويدخلن في المباريات الادبية التي تنظمها الوكالة المغربية للأنباء وغيرها من الاندية الادبية فيحرزن على الجوائز التي تقدر جهودهن. ومن أنبغ الكاتبات السيدة مليكة الفاسي رئيسة الفرع النسائي للحزب التي اشتهرت بفضولها وأبحاثها الاجتماعية التي تكتبها بإمضاء (باحثة الحاضرة).

وكانت الآنسة ثريا الشاوي أولى الطيارات المراكشيات اللائي أظهرن جرأة على التحليق في المسافات البعيدة وعلى الالعاب البهلوانية في الطيارة. وقد اقتدى بها أوانس أخريات أعربن عن طموح المرأة المغربية وعزمها على النهوض.

أما في ميدان الفن فالمرأة المغربية معروفة منذ القدم بعلو كعبها وسلامة ذوقها ورقة حاستها، وهذا ما سهل عليها المحافظة على ما ورثته من الالطاف العربية في فن الرقم والتطريز والنسج وسائر الصنائع اليدوية التي تزين البيت المغربي. وقد أخذت هذه الألطاف الموروثة نفسها يد سيداتها بالتطور فأصبحن يكيفنها بما يتناسب مع الذوق العصري وحاجات الوقت. وهكذا نجد السيدة (فاختة بنت مفضل الفاسي) تبتكر عدة أزياء في التطريز تحمل إسم (النخلة الفاسية) كما نجد سيدات الاطلس يقمن بتلوينات جديدة في الزرابي المغربية على الرغم من الصعوبات التي يلقينها من إدارة الفنون الجميلة التي تعاكس كل تجديد باسم المحافظة على الآثار القديمة.

ولكن المرأة المغربية أظهرت تفوقا عظيما في فن الرسم حيث كونت إلى جانب الرسامين المغاربة والاوروبيين الموجودين في المغرب مدرسة ممتازة بروحها القومية والاجتماعية وبالشخصية المغربية المتجلية فيها، فهناك السيدة (عائشة العلوي) من مدينة مراكش استحقت إعجاب المتفننين الذين يترددون على زيارة معارضها بما أوتيت من روح الابتكار وتجلية بؤس الفلاحين والعمال، والغريب أن هذه السيدة ظلت أمية أمدا طويلا وكانت تشتغل طباخة ببعض البيوت الاوروبية، وكان صاحب البيت رساما ممتازا فانجذبت بفطرتها لتقليده أولا، وسرعان ما تفوقت.وشقت طريقها في سبيل المجد الفني مثبتة أن الفطرة المغربية مليئة بالإلهام والسمو النفسي.

ومن أشهر الرسامات المغربيات السيدة (مريم أمزيان) وتمتاز بتخصصها في رسم الوجوه المغربية، وهي تعبر عن رغبتها في ذلك معلنة أن حبها لمواطنيها تمنعها من أن تفكر في غير ملامحهم والتعبيرات التي تعبر عما يكنونه من عواطف إنسانية ترى أنها أرقى

ما يمكن أن يشعر به إنسان، وتقيم السيدة أمزيان معارض عديدة في المغرب وإسبانيا وغيرها من بلاد أوروبا فتحصل على الاعجاب من جميع الذين يطلعون على فنها.

وتنال الموسيقى من عناية السيدات المغربيات جانبا وافرا، ولكن الظروف الاستعمارية لا تسمح للفنانات منهن بأداء الرسالة التي يردنها، فهناك الآنسة (مريم الجبلي) التي تخرجت من أرقى معهد للموسيقى في فرنسا، وحصلت على جائزة الناجحة الاولى في تلك البلاد، والتي تمتع العالم بتوقيعاتها المبدعة في كل المسارح الفرنسية والاسبانية والبرتغالية والايطالية حيث تجد من فهم الجمهور وتقديره ما يرفعها لمستوى إعجابه وحبه، ولكنها لا تجد من التشجيع الاداري في بلادها نفسها ما يحملها على غير زيارتها بين الفينة والاخرى لإحياء بعض الليالي ثم تعود. وهذا نفسه ما تجده السيدة (كنزة) التي هاجرت بفنها إلى كاليفورنيا حيث أصبحت من ألمع نجوم المسرح والسينما بتلك الديار.

على أن هنالك أوانس استطعن أن يفتحن طريقهن في المسرح الفني داخل الوطن حيث شاركن في تمثيل عدة روايات قامت بها الاجواق الوطنية التي أسسها حزب الاستقلال، ومنهم الآنسة (ربيعة عبد الله) والآنسة (خديجة جمال)، ولكن عمل المرأة في هذا الميدان يعرقله ما يعرقل عمل أخيها من رقابة فرنسية تحد من مقاومة العمل الدائم متى ظهرت فيه بوادر النجاح، فليس خفيا على أحد ما يعانيه المسرح والسينما المغربيتان من ضيق الافق الفرنسي وهما الفنّان اللذان لا يزالان في أوائل عهدهما بالظهور في بلادنا بينما يلاقي الفنان عادة من تنشيط الدولة وإسعافها ما يساعده على التقدم والازدهار.

ولم تكن المرأة في ميدان الشغل أقل اقتدارا أو تنظيما من الرجل. وإذا كان للعامل الاقتصادي أثره في هذا الباب فإن استعداد المرأة لمواجهة مقتضيات العصر الحديث يدل على القوة الكامنة فيها للتطور والتكيف بحسب الظروف، وهكذا فإن المرأة التي ظلت تقصر عملها أجيالا عديدة على الصناعات الرقيقة في داخل البيوت نزلت إلى العمل لتشارك في تصنيع البلاد وكفاح الطبقة العاملة في سبيل الحرية وطيب الحياة. وتشتمل مصانع الدار البيضاء وفاس وفضالة وآكادير على آلاف من العاملات يقمن بأشغالهن عن وجدان وإتقان، وقد تخصص منهن العديدات في فروع العمل الذي يقمن به حتى أصبحن منظمات له وموجهات. وأكبر مراكز العمل التي تضم السيدات هي ميناء آسفي حيث توجد سبعة آلاف امرأة تشتغل في مصانع تصبير السمك وإعداده للتصدير للخارج.

وتشترك العاملات المراكشيات في حركة الكفاح النقابي للدفاع عن حقوق العمال، ويوجد منهن عضوات نشيطات في داخل المجالس المحلية الادارية، وقد أسهمن في انتخاب ممثلي الاتحاد العام للنقابات المغربية، وأظهرن دائما من ضروب الطاعة والتنفيذ للمقررات النقابية ما استحق إعجاب النقابيين والمسيرين في العالم أجمع، إذ شاركن دائما في الاضرابات العامة والمهرجانات التي يقيمها الاتحاد، وألقين من الخطب ما شجع على تثبيت مقررات النقابة وأعمالها. ولم يكتفين بذلك حتى أرغمن إخوانهن على مساعدة المرأة على استخلاص حقوقها من يد الشركات الظالمة، فكان لهن فضل الدعوة في العام الماضي لحركة قوية من أجل إعطاء الحوامل من العاملات إجازة شهرين مؤداة الثمن للولادة والنقه، إلى غير ذلك من المسائل المتعلقة بالضمان الاجتماعي للمرأة العاملة.

وحينما أعلن الاتحاد العام للنقابات المغربية في ديسمبر الماضي إضرابه العام احتجاجا على اغتيال الزعيم النقابي المرحوم (فرحات حشاد) وترتب على ذلك هجوم الفرنسيين عسكريين ومدنيين على العمال المغاربة في الاحياء الشعبية بالدار البيضاء، خرجت العاملة المراكشية تسهم في الكفاح وتدافع مع إخوانها عن حرية الشعب في التعبير عن عواطفه ضد الظالم والظالمين. وقد استشهد منهن سيدات اختلط دمهن بدم المكافحين الابطال نشدانا للاستقلال المغصوب ودفاعا عن الحرية المقدسة، ولم يفرق البوليس الفرنسي حينما كان يقوم داخل الكوميسارية البيضاوية بالتنكيل بآلاف المعتقلين بين رجل وامرأة، بل كان يعذب الكل ويقسو على الجميع، وقد ماتت تحت الضرب الفرنسي:

1 ـ السيدة فاطمة بنت المهدي وهي حامل من سبعة أشهر كانت تسكن بكارير بوعزة رقم 1 البراكة رقم 3

2 ـ والسيدة حدو بنت الطاهر وهي حامل أيضا كانت تسكن بكارير بوعزة الزنقة رقم 3 البراكة رقم 15.

ولست أريد أن أعلق على هذه الوحشية التي أظهرها المستعمرون الفرنسيون، فإن كل من يتمتع بذرة من الانسانية يستطيع أن يعلق عليها ويحكم بنفسه، وإنما أريد أن أثبت إسهام المرأة المراكشية في جميع حركات التحرير وفي سائر مظاهرها. وليس ما أذكره إلا أمثلة تدل على ما وراءها. وقد أشاد الشاعر المصري الدكتور أبو شادي في قصيدة له عن الكفاح المراكشي الاخير بما قامت به سيداتنا فقال مخاطبا المراكشيين:

ولا أنسى نساءكم فعندي نساؤكم بها أَبْدَيْنَ كَسْبُ
مآثرهن أسمى من منالٍ يهوم حوله وغد ووشب
خلقن بطولة وعززن شعباً إلى الإقدام حين يُهز عضب
وما وقب الظلام وما يعاني بمنسيه ولا ضيق ولا كَرْبُ
نفره من العاتي إباءً وإن داجى ولا يدنيه قُرْبُ
دعوه وشمروا واسعوا وصونوا توحدكم فإن الحق «حزب»

نعم سيداتي وسادتي، إن الحق حزب، وإن هذا الحزب هو الذي يعاني رجاله ونساؤه من ضروب الغطرسة الفرنسية والارهاق الفرنسي ما لا يستطيع القلم تسطيره ولا اللسان تحريره. وإنه لعار على الانسانية جمعاء أن تظل ساكنة خانعة، وأحيانا مؤيدة لما يقوم به المستعمرون من غصب لحقوق الرجل والمرأة في المغرب واعتداء على كرامتها.

ولكن المرأة المغربية كأخيها الرجل المغربي مصممة على مواصلة الكفاح إلى أن تزيل العراقيل والأشواك الاستعمارية عن طريقها وإن نهضة المرأة المراكشية لشيء واقع في جميع مظاهر الحياة، ولولا هذه الأشواك الاستعمارية لتجلت للعالم كأعظم ما تكون المرأة نضجاً وثقافة وتحرراً. بل يمكن لي أن أقول إن المرأة المغربية قد انتصرت على نفسها وعلى قومها إذ اعترف لها الكل بحق المشاطرة الكاملة في مظاهر العمل الوطني بكل نواحيه. ومنذ ابتدأت حركتنا الوطنية وهي تطالب للمرأة بحقوقها كاملة غير منقوصة. وقد سجل ذلك برنامج الاصلاحات المغربية منذ ثمانية عشر عاماً، وطالبت في كتابي «النقد الذاتي» بحق الانتخاب للمرأة، وما كنت في ذلك إلا معبراً عن وجهة نظر الحركة الاستقلالية التي لا ترى موجباً للتفرقة بين شطري الأمة لا في الحقوق ولا في الواجبات، وفي خطاب العرش الذي ألقاه صاحب جلالة سلطان المغرب محمد الخامس يوم 18 نوفمبر الأخير عرض جلالته برنامجه الاصلاحي في مغرب الغد فأعلن إعلاناً دستورياً يقضي بتأسيس حكومة مسؤولة أمام مجلس نيابي يشترك في انتخابه الرجال والنساء على السواء. وهكذا تم للمرأة المراكشية من الوجهة الدستورية المغربية

كل ما يمكن أن تطالب به، ولم يبق لها ولا خوانها الرجال إلا أن يواصلوا العمل لمحو الأشواك الاستعمارية من الوجود لنتمكن جميعاً من تطبيق هذه الاصلاحات الديمقراطية التي لا يمكن أن تطبق في عهد يتولى فيه المستعمرون إدارة شؤوننا واستعبادنا وتقتيلنا.

لذلك لا غرابة إذا رأينا المرأة المغربية تشاطر بقلبها وعملها في مكافحة المستعمر، وتضحي بمالها ودمها للوصول إلى الاستقلال، فقد أيقنت هي كما أيقن أخوها أنه لا سبيل للنجاح إلا بشديد الكفاح، وأن الأمة لا يمكن أن تستقل إلا إذا تم لها تحريرها واستقلالها.

وإن تجارب سائر الحركات التي قام بها المواطنون في المغرب انتهت إلى حقيقة واحدة هي أنه لا يمكن للمغرب أن يحقق ما يصبو إليه من حريات فردية وإصلاحات اجتماعية ونهضة فكرية إلا إذا نجح في إلغاء الحماية وتحقيق الاستقلال. فمراكش مجتمعة متحدة لا تألو جهداً في بذل تضحياتها، وهي تطالب شقيقاتها العربيات والمسلمات أن يفهمن موقفها ويدركن أن كفاحها ليس من أجل مصالحها هي فقط، ولكنه كفاح في صالح العروبة والاسلام لأنه يعمل على إبقاء مراكش عربية مسلمة، وهي تطالب كل العرب والمسلمين أن يقفوا معها وفي صفها لحماية التراث العربي الاسلامي في المغرب من يد المعتدين. والله مع الصادقين.

